تصدير

تحتفل القاهرة بعد أربع سنوات بمرور ألف سنة ميلادية على إنشائها، ومازالت هذه العاصمة العريقة تحتفظ من عهد نشوئها بآثار جليلة. ومع ذلك فإنها لم تحظ حتى الآن بظهور كتاب باللغة العربية يسجل آثار ذلك العصر الفاطمى، ويخصها بالفحص والرعاية والتحليل والإطراء، إذا استثنينا كتب الخطط القديمة والجديدة. أما باللغات الأوربية فقد ظهرت عدة كتب أشرت إليها فى صفحات هذا الكتاب، وسجلت أسماءها فى مراجعه، وأهمها كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر فى العصرين الإخشيدى والفاطمى»، الذى ظهر فى سنة ١٩٥٢. وهو كتاب ضخم مفصل، موضح بالرسوم التخطيطية والزخرفية والصور الفوتوغرافية. ويعتبر هذا الكتاب مرجعًا رئيسيًا لآثار العصر الفاطمى المعمارية، وأعترف أننى قد أفدت منه، ولكننى لم أنقل عنه أو أقتبس منه، ولم أتتبع طريقته أو أنحو منحاه، بل إننى عارضت بعض الآراء التى أبداها مؤلفه.

وقد تابعت فى هذا الجزء الأول البحث الذى أوضحت منهجه منذ أكثر من سنتين فى «المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها». وقد تناول هذا «المدخل» بحوثًا عن دراسات الآثار العربية الإسلامية، والمبادئ الرئيسية لهذه الدراسات، واستعراضًا لآثار عواصم الديار المصرية العربية قبل إنشاء القاهرة. واقتضت هذه البحوث أن يمتد نطاق «المدخل» فيشمل عرضًا للمساجد الجامعة المعروفة فى العصور الإسلامية الأولى، ودراسة لتاريخها ونظم تخطيطها، وتحليلا لحكمة هذ التخطيط ومصادره ومراحله.

ويتناول هذا الجزء الأول من «مساجد القاهرة ومدارسها»، دراسات عن تطور نظم المساجد فى العصر الفاطمى، من حيث التخطيط والعمارة والزخرفة. واقتضت هذه الدراسات – بعد استعراض الآثار المتخلفة من تلك الفترة التى امتدت قرنين من الزمان – أن تحلل العناصر لاستخراج أحكامها، وأن تراجع المصادر للكشف عن الخصائص التى تمتاز بها عمارة ذلك العصر وزخارفها، وأن تناقش آراء العلماء والمستشرقين لتحديد أوجه الحق أو الباطل فيها، وأن يرد الفضل إلى أصحابه من رجال الهندسة والفنون.

وسنرى أن آثار القاهرة التى تبقت من العصر الفاطمى – بالرغم من قلتها عددًا بالنسبة لمنشئات ذلك العصر – ترسم صورة واضحة لازدهار حضارته، وانطباع الحياة فيه بالترف والثراء.

دكتور أحمد فكرى

أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية

بجامعة الإسكندرية (سابقا)

وأستاذ الآثار الإسلامية بجامعة بغداد

بغداد فى **أول المحرم سنة ١٣٨٥ هـ**

٣ مايو ١٩٦٥م